سيّد أحمد خان
١٨١٧ - ١٨٩٨م
والمصير السياسى لمسلمى الهند

د. خليل عبدالحميد عبدالعال

المجتمع الاسلامي في الهند في أعقاب ثورة عام ١٨٥٧م

لم تكن العلاقات بين الحكومة البريطانية ومسلمي شبه القارة الهندية على مايرام طوال القرن التاسع عشر. فالبريطانيون كانوا دائماً ينظرون إلى مسلمي الهند كمنافسين لهم في البلاد. ولذلك فقد كانت سياسة بريطانيا نحو المسلمين تقوم على أساس الكبت والضغط بينما كانت سياستها نحو الهندوس تقوم على أساس تنمية العلاقات الطيبة معهم(١). وبعد اشتعال ثورة عام ١٨٥٧م ازدادت نظرة الكراهية البريطانية نحو المسلمين وازداد سوء الفهم ومن ثم سوء العلاقات بين الطرفين. ورغم أن الثورة قد قامت على أكتاف كل من المسلمين

والهندوس معا وأن كلا من الطرفين يتحمل مسئوليتها بشكل مساو، إلا أن الغرم كان من نصيب المسلمين بينما كان الغنم من نصيب الهندوس. فقد عومل المسلمون من قبل السلطات البريطانية أسوأ معاملة. فقد خربت وسلبت منازل المسلمين ونفي زعماؤهم وأعدم وسجن كثير من رؤسائهم، وفرضت على المسلمين عامة غرامات مالية كبيرة(٢). أما الهندوس الذين كانوا مسئولين أيضا – مثل مسئولية المسلمين – عن الثورة، فقد أغدقت عليهم السلطات البريطانية الكثير مما رفع من روحهم المعنوية بشكل كبير(٣). وهكذا أصبحت الحياة بالنسبة لمسلمي الهند وزعمائهم عبئا ثقيلا لا يحتمل مما جعل رجالا كثيرين – مثل سيد أحمد خان – يفكرون في مغادرة البلاد(٤).

- أما دلهي التي كانت مركزا للحضارة والثقافة الاسلامية فقد أصابها التدمير والنهب ولم تعد مدينة اسلامية. لقد انتكست حركة النهضة والاحياء التي كانت تمور بها المدينة(٥). وبدأ الانحطاط والخمول يغشى ويسيطر على كل مناحي الحياة. وأخذ المسلمون يكرهون كل ما يتصل بالغرب(٦). لقد فقدوا الأمان في حياتهم وتقوقعوا في داخل أنفسهم وأدت بهم حياتهم الاجتماعية غير المستقرة إلى أن يركنوا إلى حياة التدين. بل وصبغوا كل شيء بصبغة العقيدة. وأصبح كل ما هو ضد معتقداتهم وتقاليدهم أمرا بعيدا عن القداسة ومدنسا(٧).

- وهكذا، ونتيجة لخيبة آمالهم في مجرى الأحداث، تجنب مسلمو الهند التعليم الغربي وبالتالي حرموا أنفسهم من فرص التوظف والعمل الحكومي. أما الهندوس فقد سلحوا أنفسهم بالمؤهلات الجديدة والعلم الغربي وبمرور الوقت تمكنوا من شغل كل الوظائف والخدمات الحكومية(٨).

- لقد كان المسلمون متخلفين عن الهندوس في تعلم اللغة الانجليزية. هذا أمر لاشك فيه. ولكن أحيانا لم يكن يسمح للمسلمين بالعمل وشغل الوظائف لأنهم مسلمون(٩). ويمكن للدارس أن يتعرف على أحوال مسلمي البنغال وبيهار وأوريسا – بسهولة – من الفقرات التالية، من التماس تقدم به مسلمو أوريسا إلى السلطات:

«إننا كرعايا مخلصين وموالين لجلالة ملكة بريطانيا، نعتقد في أن لنا حقا متساويا – مع الآخرين – في تعيينات الادارة في البلاد. ومن الحق أن نقرر هنا أن مسلمي أوريسا قد انحط وضعهم بشكل كبير أدى الى فقدان الأمل في الارتفاع من جديد. لقد وجدنا أنفسنا.. كسمكة خارج الماء. هذه هي الحالة المؤسفة والبائسة للمسلمين نضعها تحت أنظاركم ونحن نؤمن أنكم الممثلون الوحيدون لجلالة الملكة في منطقة أوريسا، ونأمل أن تأخذ العدالة مجراها بين كل الطبقات دون تمييز في اللون أو الاعتقاد. إننا لشدة سوء أحوالنا المالية ووصولنا الى حالة الضنك والافلاس نتحدث من كل أعماق قلوبنا ونقول إننا على استعداد للسفر الى أبعد مناطق الأرض، والصعود الى قمم الهملايا والذهاب الى مناطق سيبيريا اذا ما اقتنعنا أن ذلك هو السبيل الى وظيفة حكومية تدر علينا عشرة شلنات في الأسبوع(١٠)».

- لقد كانت مدينة (كلكتا) مركزا لحركة النهضة والاحياء الهندوسية، وظلت المدينة آمنة من كل المكاره إبان الأيام الحالكة للثورة(١١). لقد ظلت الروح المعنوية للهندوس عالية، ونجحوا في تحسين أحوالهم المادية، وصار أبناؤهم محامين وأطباء وصحفيين بل وصارت الصناعة المحلية تحت إشرافهم. هذه الأحوال الاجتماعية الآمنة والتعليم الذي حصلوه نفث كل ذلك فيهم الوعي وشرعوا يجاهدون من أجل الحصول على حقوقهم. وقد أدى ذلك الى توسيع الشقة بين أمتي الهند(١٢) (أعني

الهندوس والمسلمين). إن الصراع من أجل البقاء والوجود في النصف الأخير من القرن التاسع عشر كان صراعا بين طبقتين، طبقة مثقفة وآمنة ماليا وطبقة غير مثقفة ومطحونة اقتصاديا، ولكنها فخورة بأمجادها الماضية. هذا الصراع أصبح أشد احتداما وعنفا بسبب الاختلافات الدينية. ويعلق (فالنتين شيرول) على ذلك بقوله:

إن العداء بين الهندوس والمسلمين لم يكن من خلق أو بسبب الحكم البريطاني. إنه محصلة قرون من الصراع والتوتر وذلك قبل أن يسمع عن البريطانيين في الهند(١٣)».

- كان الهندوس يعلمون ذلك. وعندما كانوا يجدون الفرصة – مثلهم في ذلك مثل الحكومة البريطانية – فإنهم كانوا لا يترددون في الضغط على المسلمين وكبح جماحهم(١٤).

أولا : سيد أحمد خان وحركة عليجرة

- **كان سيد أحمد خان (١٨١٧ – ١٨٩٨) من أبرز وأهم الزعماء المسلمين في شبه القارة الهندية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر**. وقد ظلت زعامته لمسلمي شبه القارة طوال فترة حياته النشطة.. أكثر من خمسين عاما. وقد أمضى سيد خان الأربعين عاما الأولى من حياته في جهد لا ينقطع من أجل العمل على نشر أفكاره التعليمية والأدبية. وفي خلال هذه الأعوام عاصر سيد خان وعاش أحداثا جساما وقعت بالهند وكان لها تأثيرها العميق على تشكيل مجرى حياته.

- لقد كانت (ثورة ١٨٥٧م) نقطة تحول مهمة في حياته. في ذلك الوقت – وقت الثورة – كان سيد خان يعمل في مدينة (بجنور). وهناك شاهد بنفسه

مآسي الثورة. وقد قام سيد خان – في خلال تلك الأيام الحالكة – بانقاذ أرواح كثير من العائلات البريطانية التي كانت تعيش بالمدينة(١٥). والذي حدا به الى القيام بهذا الدور هو ايمانه العميق بضرورة استمرار الحكم البريطاني للهند. وكان هذا اعتقادا أساسيا من جانبه له أسبابه ومبرراته التي لم يحاول اخفاءها أو التنصل منها.

- ولجهوده الكبيرة وخدماته في خلال الثورة قدمت له السلطات البريطانية أرضا كان يمكن أن تدر عليه دخلا كبيرا. لكنه رفض قبول الأرض(١٦). وفي عام ١٨٥٩م كتب سيد خان كتيبه المشهور **(أسباب بغاوت هند) أي (أسباب ثورة الهند)**(١٧). وفي هذه الرسالة قام سيد أحمد خان بتحليل الأسباب التي أدت الى الثورة. وكما يرى سيد خان فقد كانت أهم هذه الأسباب فقدان التعاون بين الحاكم والمحكوم. وقدم سيد خان النصح الى السلطات البريطانية بضرورة تمثيل الهنود في المجالس التشريعية. وقد كان لهذه الرسالة أثر إيجابي كبير على الحكومة البريطانية. إذ أنه بعد عامين من نشرها صدرت أول لائحة في هذا الصدد وتعرف باسم «لائحة المجلس الهندي لسنة ١٨٦١». وتقرر اللائحة السماح للهنود – للمرة الأولى – بأن يمثلوا في مجلس الحاكم العام التشريعي.

- لقد بدأت نشاطات سيد أحمد خان كمصلح اجتماعي وكسياسي بعد عام ١٨٥٨م وأصبح سيد خان وشخصيته المحور الذي دار حوله تاريخ مسلمي الهند في الفترة من ١٨٥٨ الى ١٨٩٨م. وهذه الفترة من حياة سيد خان يمكن أن تقسم الى ثلاث مراحل مختلفة.

١ – **المرحلة الأولى** : تمتد من ١٨٦١ الى ١٨٨٣م. وفيها حاول سيد أحمد خان عامدا أن يكتسب الهندوس كأصدقاء. وجاهد للدفاع عن تفاهم أفضل لوجهة نظر كل من الهندوس والمسلمين.

٢ – **والمرحلة الثانية** : تمتد من ١٨٨٣ الى ١٨٨٧. وفي خلال تلك الفترة قام سيد خان بتوجيه النصح الى مسلمي شبه القارة بألا يسهموا في أي تنظيم سياسي وخاصة في «المؤتمر الهندي الوطني» أو «الكونجرس».

٣ – **أما المرحلة الثالثة** : فتمتد من ١٨٨٧ الى ١٨٩٨م. وفيها عارض سيد خان بوضوح «المؤتمر الهندي الوطني» وقام بتكوين عدد من التنظيمات المناهضة للمؤتمر.

المرحلة الأولى :

- كان سيد أحمد خان رجلا شديد التدين، وكانت تملؤه رغبة عارمة في خدمة أبناء ملته. لقد شاهد بنفسه أفول نجم الامبراطورية المغولية. ولقد كانت ثورة ١٨٥٧م هي آخر محاولات الهنود لاستعادة سلطانهم المفقود وكرامتهم وذلك عن طريق القوة. ولكن الثورة فشلت. وبهذا الفشل ضاعت كل الآمال في قيام امبراطورية اسلامية في الهند.

- لقد تأثر سيد خان بشكل بالغ بالمعاملة السيئة والمستبدة التي عاملت بها السلطات البريطانية المسلمين بعد فشل الثورة. وهذا مادفعه الى كتابة سلسلة من المقالات بعنوان «المسلمون الهنود الموالون(١٨)». وفي هذه المقالات حاول سيد خان أن يثبت بالدليل القاطع أن مسلمي الهند لم يكونوا هم وحدهم المسئولين عن ثورة ١٨٥٧م(١٩). إن هذه الثورة – كما يقول سيد خان – كانت عملاً اشتركت فيه كل الأمة الهندية. وأعلن سيد خان عن أسماء العائلات المسلمة التي قدمت يد المساعدة للبريطانيين، بل ووقفت في صفهم، وذلك في خلال الأيام الحالكة للثورة.

- واستمر سيد أحمد خان في كتابة هذه المقالات حتى ١٨٦٠ /١٨٦١م. وقد نتج عن هذه الكتابات راحة كبرى حلت في صدور كثير من العائلات المسلمة. ولكن سرعان ما كان على سيد خان أن يجابه موقفا حرجا وأكثر خطورة. فقد أخذ الهندوس – تدريجيا – يتحكمون في الحياة الاقتصادية والسياسية في البلاد. فقد أسست الجامعة في مومباي ومدراس وكلكتا في عام ١٨٥٧. وهذه المناطق كانت ذات أغلبية سكانية هندوسية. وخرجت هذه الجامعات دفعات وراء أخرى، وبمرور الوقت تمكن الهندوس من أن يحتكروا أغلب الوظائف الحكومية. ويصف (سير ثيودور موريسون) أحوال المسلمين العامة في الهند بقوله:

«بينما كان البنغاليون الهندوس والمدراسيون والمراتا يتمتعون بنهضة ثقافية ومعنوية – نتيجة احتكاكهم بفنون أوربا وعلومها – فان المسلمين في كل شبه القارة الهندية كانوا ينحدرون نحو الركود المادي والانحطاط الثقافي(٢٠)».

- لقد كان المسلمون متخلفين عن الهندوس بشكل بالغ. فقد منعهم رجال دينهم من طرق سبل التعليم الغربي وكانت النتيجة هي إستبعاد المسلمين من كل الأعمال والوظائف المدنية(٢١)».

- تأمل سيد خان الموقف وتفهمه بعمق في مرحلة مبكرة. وبدأ على الفور حركته الكبرى التي أوحت إلى مسلمي الهند بحياة جديدة. فقد آمن سيدخان بأن الوسيلة الوحيدة التي تمكن مسلمي شبه القارة من الحركة والحياة من جديد هي التعليم. ومن المفيد أن نذكر هنا أنه عندما بدأ سيد خان حركته هذه كان عدد الخريجين لا يزيد على ستة عشر شخصاً في كل الهند(٢٢) .

في مثل تلك الظروف لم يكن من الممكن لسيد أحمد خان أن يعلن عداوته للهندوس فقد كان سيد خان دائما حريصا على عدم إثارة غضبهم ونفوسهم ومشاعرهم رغم أنه كان حريصا أيضا على مقاومة موقفهم واتجاهاتهم نحو المسلمين وكان في ذلك مثل السياسي الذي يعرف لكل شيء وقته. ولم يدع سيد خان للهندوس وسيلة للتعرف على مشاعره الحقة تجاههم. وظل الأمر كذلك حتى تأسيس «المؤتمر الهندي الوطني(٢٣)».

• حركة عليجرة •

قبل ذهاب سيد أحمد خان الى انجلترا كان قد آل على نفسه أن يعمل من أجل خلق تفاهم وتقارب سياسي بين الحكام والمحكومين. وفي خلال تلك الفترة كان سيد خان يرى ضرورة قبول البريطانيين سياسيا. ذلك أنه بدون ذلك فان مسلمي الهند سوف يقعون حتما تحت وطأة الغالبية الهندوسية المعادية. على أن آراء سيد خان في هذا الصدد تغيرت بعد عودته من انجلترا (١٨٦٩ – ١٨٧٠) ففي أوربا شاهد سيد خان نتائج وثمار الحضارة الأوربية وتأثر بذلك تأثرا بالغا. ومنذ ذلك الوقت بدأ سيد خان يعمل جاهدا لاقناع أبناء ملته ليس فقط بقبول الحكم البريطاني، ولكن باستيعاب الحضارة الغربية(٢٤).

وفي عام ١٨٧٠ بدأ سيد خان ينشر «**تهذيب الأخلاق**» وهي مجلة بالأردية على غرار ونمط بعض المجلات الأوربية(٢٥). وبدأ سيد خان يهاجم – على صفحات المجلة – الدوائر والنزعات المحافظة التي رفضت أي تقدم أو إحداث أي تغيير كما هاجم نمط التعليم الديني الذي فرضته هذه الدوائر وشجعته. وكانت الحملة التي قادها سيد خان على

صفحات المجلة تهدف الى تخليص وتحرير الاسلام والمسلمين من قيود المجتمع القديم الذي انتهى. وبصدور تلك المجلة تبدأ حركة أصبحت شهيرة فيما بعد واقترنت باسم كلية عليجرة التي أسسها سيد خان بعد ذلك بخمس سنوات. أما أهداف وغايات الحركة فقد كانت:

١ – حث الهنود على تعلم الفنون والعلوم الغربية.
٢ – تشجيع الناس على الفهم عن طريق العقل.
٣ – العمل من أجل الارتقاء الاجتماعي بالهنود.
٤ – العمل على انتشال الهنود من حالة اليأس والقنوط وإيضاح معالم الأمل والسعادة أمامهم.

٥ – تشجيع الهنود على اتخاذ موقف نشط وايجابي في الصراع من أجل الحياة.
٦ – توجيه انتباه الناس نحو المشاكل الخطرة والعملية.
٧ – الرغبة في الاصلاحات الاجتماعية(٢٦).

- كذلك كانت مدرسة عليجرة، التي أصبحت فيما بعد كلية، تتصل بقرب بهذه الحركة. فقد كانت الكلية هي المركز الثقافي والفكري للحركة. وكانت أغراض الكلية تنحصر في تخريج أربعة أنماط من الخريجين.

١ – نمط يقوم بمهمة ترجمة العلوم والفنون الأوربية الى الأردية بعد دراستها.
٢ – نمط يقوم باستيعاب التعليم الانجليزي للعمل بعد ذلك في الوظائف الحكومية.

٣ – نمط يقوم بالدراسة بالأردية على أن يتمكنوا بذلك من الحصول على معرفة تامة مساوية للمستوى البريطاني حتى يتمكنوا بعد ذلك من تطوير معرفتهم وحضارتهم.

٤ – نمط يقوم بالدراسة بالفارسية والعربية. وهؤلاء سوف يقومون على ترجمة تراث الماضي للأجيال الجديدة. وبهذا الشكل سوف يظل التراث الديني والثقافي حيا وباقيا(٢٧).

- كان هذا المعهد العلمي (كلية عليجرة) معهدا اسلاميا بحتا. ولكنه كان مفتوحا للجميع دون تمييز عقائدي أو جنسي.

- لقد كان سيد خان من أنشط العاملين في هذه الحركة. ولكن ساعده في هذا العمل الكبير فريق من الزملاء المخلصين والمحبين للعمل من أبرزهم مولفي سميع الله خان ونواب محسن الملك ونواب فقار الملك وسيد زين العابدين ومولفي شيراغ علي وألطاف حسين حالي ومولانا شبلي نعماني ومولفي زكاء الله ومولفي نظير أحمد(٢٨).

- على أن سيد أحمد خان لم يستمر في هذا العمل الكبير دون معارضة. فان معارضيه «أخرجوه من حوزة الاسلام وقاموا بالتشهير به والادعاء عليه، بل أنهم هددوه بالقتل أكثر من مرة(٢٩). على أن سيد أحمدخان الذي كان يؤمن بعمله وكان قويا بهذا الايمان استمر يؤدي مهمته ولم يقف في طريقه عائق.

- لقد أسهمت حركة عليجرة في خدمة مسلمي شبه القارة الهندية باخلاص وذلك في ابان حالك أيامهم. وفي النهاية قادت مسلمي شبه القارة نحو الخلاص والانتصار.

- وفي خلال تلك الفترة قام سيد خان بالقاء الخطب لكسب ود الهندوس وتعاونهم. وكان يفخر بتسميته الهندوسي أو الهندوستاني(٣٠). وقد أعلن سيد خان في مناسبات عديدة «أن الهند مثل العروس عيناها هما

الهندوس والمسلمون، وجمالها يتمثل في أن كل من عينيها له نفس البريق.» ونصح سيد خان بعدم المساس بمشاعر الهندوس وذلك بعدم ذبح البقر. «إذا ما أريد للصداقة بيننا وبينهم أن تستمر فان هذه الصداقة يجب أن تفضل على التضحية بالبقر(٣١)».

- وقد ترأس سيدخان عددا من الاجتماعات التي نظمها الهندوس وقام بدعوة البارزين من الهندوس الى كلية عليجرة. كذلك تلقى من الهندوس الاسهامات المالية(٣٢). ولكن كل ذلك كان بلا جدوى. فقد كان الهندوس على قدر كبير من التحيز ضد المسلمين. وفشلت في النهاية كل الجهود المخلصة التي بذلها سيد خان للتوحيد بين المسلمين والهندوس. وتوترت العلاقات بينهما وساءت. على أن سيد خان كان يعلم بما سوف تنتهي اليه الأمور من قبل. كان يعلم بذلك منذ الصراع والنزاع الذي دار حول الأردية والهندية والذي بدأ في عام ١٨٦٧. وفي الواقع فان النزعة الانفصالية الاسلامية كانت قد بدأت منذ الاضطرابات وحركات التبرم التي قام بها الهندوس ضد اللغة الأردية في (بنيراس)(٣٣).

- لم يكن سيد أحمد خان ضد تكوين حزب سياسي. كذلك لم يكن ضد السياسة في حد ذاتها. إلا أنه كان يعتبر المسلمين غير جديرين بالقيام بأي نشاط سياسي طالما أنهم متخلفون تعليميا. كذلك لم يكن سيد خان راغبا في أن يتحول انتباه المسلمين عن التعليم الى أي مجال آخر. فالتعليم وحده – كما يرى – سوف يحفظ عليهم مستقبلهم ولقد كانت كل من كلية عليجرة ومدرسة عليجرة النتائج العملية لجهوده في مجال التعليم. فكل من المعهدين الدراسيين كان مفتوحا لكل فرد دون تمييز في الطبقة أو اللون أو العقيدة.

- ولقد تبنى سيد أحمد خان في مجال السياسة منهج الولاء للانجليز. وهذا

– في اعتقاده – كان أفضل سياسة للمسلمين. وتلقى خطبته في المجتمع العلمي التي ألقاها في (١٠ مايو عام ١٨٦٦) الضوء على آرائه السياسية. فان سيد خان كان يرى أن المسائل والأمور الهندية يجب أن تعرض بشكل أساسي أمام مجلس نيابي، ولهذا يجب أن تؤسس منظمة ما. وقد قال سيد خان:

«من المؤسف حقا أن ينظر أهل الهند بشكل لا مبالاة فيه ولا معرفة الى البرلمان البريطاني. هل تستطيعون الاهتمام بأموركم اذا لم تعرض هذه الأمور أمام هذا المجلس؟».

«ان القطاعات الأوربية في الهند آخذة في الازدياد. وقد أسست لها منظمات في لندن وفروعاً لهذه المنظمات في الهند، وذلك لكي تضع المسائل الهندية ومطالب واحتياجات جميع الطبقات أمام البرلمان البريطاني. وان لم تقم كل طوائف الأمة بالتعاون ووضع الخطط على أسس دائمة فإن الفرصة قد تفلت وبالتالي فان المواطنين الهنود سوف يحرمون من التمثيل ولن تلوموا إلا أنفسكم وذلك بعد أن تشاهدوا بعد سنوات أن القطاع الأوربي يتمتع بامتيازاته التي حصل عليها بينما مطالبكم لم تتحقق.»

«إنني أخشى أن تنظر اليكم الحكومة أو السلطات الاقليمية كمجموعات عابثة متمردة وغير راضية. هل قيامكم بمثل هذه الاجراءات يمنعكم من خدمة بلدكم؟ هل الأفكار الأوربية عابثة ومتمردة؟ صدقوني إن هذا الجبن المعنوي خطأ وأن هذا الخوف لا أساس له...».

«إنكم اذا ما أظهرتم أنفسكم بمظهر المتحمس الشغوف المبجل لذاته والواثق فيها فإنكم سوف تكسبون احترام شعب مستقل مثل الشعب الانجليزى. ولكن اذا ظللتم كما أنتم الآن غير مبالين ومعتمدين

على غيركم فلن تنالوا احترام أحد. إن تطبيقات القانون على أيدي حكومة – مهما كانت عاقلة – وحتى لو كان الدافع اليها سليما ووطنيا، فانها أحيانا لا تتفق واحتياجات الناس ومطالبهم أو أنها تتعارض مع العدالة الحقيقية.

«إن الأهالي ليس لديهم الآن دور أو صوت في ادارة أمور بلادهم واذا ما ثبت أن أي اجراء تتخذه الحكومة ضار بهم أو مخالف لمصلحتهم فانهم يبدون في الظاهر رضى وسعادة بينما السخط وعدم الرضى يمور في عقولهم. أرجو ألا تغضبكم كلماتي التي أتحدث الصدق بها. أنا أعلم أن من عاداتكم السخط والاستياء من قوانين الحكومة المختلفة وذلك في بيوتكم وبين عائلاتكم وأنكم عندما تزورون بعض الأوربيين تظهرون رضاءكم بعدالة وحكمة هذه القوانين. إن هذا المسلك هو بالتأكيد ضد مصلحة بلدكم. انه لمن الأفضل أن يكون للهند شعب يتحدث بصراحة وشرف عن عدالة أو ظلم قوانين الحكومة...»(٣٤).

المرحلة الثانية :

- جاء لورد (**ليتون**) في عام ١٨٧٧م الى عليجرة لوضع حجر الأساس لكلية عليجرة(٣٥). وقد تأثر كثيرا بشخصية سيد أحمد خان، ولذلك عينه في عام ١٨٧٨م عضوا بالمجلس التشريعي الامبراطوري(٣٦). وأعيد تعيين سيد خان في عام ١٨٨٠م في عهد لورد (**ريبون**) نائب الملك في الهند آنذاك(٣٧). وفي مجلس نائب الملك وجد سيد خان الفرصة في الدفاع عن مصالح مسلمي شبه القارة الذين كانوا يمثلون أقلية بالهند.
- ولقد رغب لورد (**ريبون**) في ادخال المؤسسات النيابية بالهند وقدم اقتراحا بقانون في المجلس التشريعي لنائب الملك وذلك بهدف ادخال نظام الحكومة الذاتية بالبلاد. وكان ذلك في الثاني عشر من يناير عام

١٨٨٣م. وفي خلال مناقشة هذا الاقتراح عارض سيد أحمدخان إدخال مبدأ الانتخاب بالهند وألقى خطبة قوية يعضد بها وجهة نظره. قال سيد أحمد خان:

«إن الحكومة النيابية هي أعظم وأنبل درس يمكن للهند أن تتعلمه من إنجلترا...» ولكن سيد خان أصر على أن هذا المبدأ لا يمكن تطبيقه أو العمل به في الهند كما هو معمول به تماما في انجلترا. وذكر أحمد خان أن الهيئات المحلية لا يمكن أن تكون كلها قائمة على مبدأ الانتخاب وأن بعض المقاعد في هذه الهيئات لابد وأن تملأها الحكومة بالتعيين.

«إن كل سكان إنجلترا - لأسباب إجتماعية وسياسية - يكونون طائفة واحدة. ومن الواضح أن هذا لا يمكن أن يقال عن الهند. إن نظام التمثيل عن طريق الانتخاب يعني تمثيل آراء ومصالح الأغلبية السكانية، وفي بلاد يتكون السكان فيها من جنس واحد وعقيدة واحدة. إنه - بلا شك - أفضل نظام يمكن أن يتبع. ولكن في بلد، مثل الهند، حيث لاتزال التقسيمات الطبقية منتعشة وحيث لا تداخل بين الطوائف المتعددة، وحيث الفروقات الدينية لاتزال عنيفة، وحيث التعليم في معناه الحديث لم يزحف بعد بنسب متساوية بين كل الطوائف وقطاعات السكان، فان نظام الانتخاب بشكله البسيط لا يمكن أن يتبع بأمان. إن الطائفة الأكبر ستطغى على مصالح الطائفة الأصغر..»(٣٨).

كانت تلك هي أول خطبة يلقيها سيد خان ويعبر فيها عن أفكاره ووجهة نظره تجاه نظام الحكومة والانتخاب في الهند. وبعد مرور ثلاث سنوات على هذه الخطبة تكون «المؤتمر الهندي الوطني» في عام ١٨٨٥. واضطر سيد خان - نتيجة لتلك الظروف - أن يعبر عن أفكاره حيال أوضاع الأقليات في الهند في ظل نظام حكومي نيابي. ولكن قبل أن نتعرض بالسرد والمناقشة لمعارضة سيد خان للمؤتمر الهندي الوطني،

يجب أن نتعرف على الطريقة التي تم بها تكوين المؤتمر الهندي الوطني ومن ثم العوامل التي حدت بسيد أحمد خان الى معارضة هذا المؤتمر.

تأسيس المؤتمر الهندي الوطني «الكونجرس» عام ١٨٨٥م

- وجد تيار من التبرم والسخط وعدم الرضى بين الطبقات المثقفة في الهند في النصف الأخير من القرن التاسع عشر. وأسباب هذا التيار يمكن حصرها في :-

١ – قانون السلاح لعام ١٨٧٨م.
٢ – قانون الصحافة الوطنية لعام ١٨٧٨م.
٣ – القلاقل والاضطرابات المتصلة بالخدمة المدنية والتي قادها (س. بانرجي).
٤ – قانون أو لائحة البرت في سنة ١٨٨٣(٣٩).

– ونتيجة لتيار التبرم والسخط هذا ظهرت في أنحاء شتى من البلاد أحزاب محلية سياسية من أهمها:

١ – منظمة كلكتا الهندية وأسسها (س. بانرجي).
٢ – المنظمة المحمدية المركزية بكلكتا وأسسها سيد أمير علي في ١٨٨٧.
٣ – أنجامان إسلام في بومباي.
٤ – المجلس الهندي الوطني في عام ١٨٨٣م.
٥ – عصبة بنغال الوطنية في ١٨٨٤م.
٦ – سورو جانج صابحا في بونا في ١٨٧٥م.
٧ – ماهاجان صابحا في مدراس في ١٨٨٤م(٤٠).

- ولكن هذه الأحزاب السياسية كانت عبارة عن مجموعات محلية بحتة لها مصالحها التي تهتم بها. ولكنها لم تكن قادرة على تمثيل الطبقات الساخطة في الهند ككل. وظهرت الحاجة الى حزب سياسي مركزي أول ماظهرت على يد (س. بانرجي)(٤١). وقام بانرجي بتنظيم أول دورة

للمجلس الهندي الوطني في عام ١٨٨٣م. وأخذ يعد العدة لتنظيم دورة ثانية(٤٢) في عام ١٨٨٥م وبينما هو في هذا الاعداد تلقى دعوة من (و. بونرجي) لحضور أول دورة لمؤتمر الهند الوطني. ولكنه رفض قبول الدعوة. وعلى ذلك فان المجلس الهندي الوطني كان يتكون آنذاك من:-

١ - المنظمة البريطانية الهندية.
٢ - المنظمة الهندية.
٣ - المنظمة المحمدية المركزية. وهي حزب سياسي لسيد أمير علي(٤٣).

- ولكن «المجلس الهندي الوطني» توقف مباشرة بعد تكوين «المؤتمر الهندي الوطني» وانضم زعيمه البارز (س. ناث. بانرجي) الى «المؤتمر الهندي الوطني»(٤٤).

- لقد تأسس المؤتمر الهندي الوطني على أكتاف موظف من موظفي الادارة المدنية الانجليزية هو (الان اوكتافيان هيوم) «الذي أقلقه إزدياد تيار السخط وعدم الرضا فحاول ايجاد الوسيلة التي يتم بها تحويل التوتر الشعبي الى قنوات بناءه»(٤٥) وقد كتب (هيوم) كتابا الى خريجي جامعة كلكتا قال فيه:

> «اذا ما تم العثور على خمسين رجلاً فقط من ذوي الأخلاق العالية ليكونوا مؤسسين فان الأمر يمكن أن يتم وأي تطور آخر لن يكون صعبا(٤٦)».

ان هيوم الذي كان إمبرياليا بالطبيعة قد قرأ (أسباب الثورة)(٤٧) وهي الرسالة التي كتبها سيد أحمد خان وتأثر كثيرا بها. ومنذ ذلك الوقت بدأ يتبنى فكرة تأسيس منظمة، بالتعاون مع الحكومة البريطانية،

يتمكن فيها المثقفون الهنود ذوو التأثير، من التعبير عن وجهات نظرهم حول المسائل السائدة الاجتماعية والسياسية. ولكن لم يكن (**هيوم**) هو الذي أعطى (**المؤتمر**) شكله السياسي. إنما الذي قام بذلك لورد (**دوفرين**). ويصف (**س. بونرجي**) هذا الذي حدث بقوله:

«ربما يكون الأمر خيراً للكثيرين. فان المؤتمر الهندي الوطني، كما كان منذ البداية وكما هو منذ أن تكون، كان أصلا عملا من جهود لورد (**دوفرين**) وذلك عندما كان (دوفرين) حاكما عاما على الهند. لقد آمن هيوم منذ ١٨٨٤م بأنه سوف يكون عملا نافعا للبلاد اذا ما تمكن الساسة الهنود من أن يتآلفوا جميعا ويجتمعوا مرة كل عام لمناقشة المشاكل الاجتماعية. إنه لم يفكر في أن تكون السياسة جزءا من مناقشتهم. ذلك لأنه كانت هناك هيئات سياسية معترف بها في كلكتا وبومباي ومدراس ومناطق أخرى في الهند. لقد ظن أن هذه الهيئات السياسية سوف تقل قيمتها اذا ماناقش الساسة الهنود المجتمعون معا من أنحاء البلاد – المسائل السياسية. كذلك كانت فكرته أن حاكم الولاية، حيث يجتمع الساسة، يجب أن يترأس إجتماعاتهم وذلك سوف ينتج عنه تآلف وعلاقات متينة بين الطبقات الرسمية من ناحية والساسة الهنود غير الرسميين من ناحية أخرى. وعندما امتلأت نفس هيوم بمثل هذه الأفكار أسرع بمقابلة (**دوفرين**) **في** (**سملا**) في بداية **١٨٦٥**م بعد أن كان الأخير قد تقلد منصب نائب الملك في الهند».

«واهتم (دوفرين) بالأمر اهتماما كبيرا. وبعد التفكير فيه لمدة من الزمن أرسل الى هيوم وذكر أنه يعتقد أن مشروعه (**أي مشروع هيوم**) لن تكون له فائدة تذكر اذ أنه لا يوجد في البلاد أي مجموعة من الرجال الذين يستطيعون القيام بالعمل الذي تقوم به المعارضة في انجلترا، وأن الصحف، بافتراض تمثيلها وجهات نظر الناس، ليست موثوق فيها ولا يعتمد عليها. ولما كان الانجليز على غير علم بفكرة الآخرين (أي

الهنود) عنهم وبسياستهم في الدوائر الأهلية فانه من المفيد – لمصلحة الحاكم والمحكوم معا – أن يجتمع الساسة الهنود سنويا ويوضحون للحكومة أوجه النقص في الادارة وكيف يمكن أن تتحسن واستطرد **(دوفرين)** بأن مجلسا مثل هذا الذي يقترحه لا يجب أن يترأسه الحاكم الاقليمي ، ذلك أنه في حضور الحاكم فان الناس قد يحجمون عن الكلام والتعبير عن أنفسهم بصراحة. وقد اقتنع **(هيوم)** بما عرضه عليه (دوفرين). وعندما عرض فكرته وفكرة (دوفرين) على الساسة البارزين الهنود في كلكتا ومدراس ومناطق أخرى من البلاد قبل الساسة فكرة (دوفرين) ومن ثم عملوا على إخراجها إلى حيز الواقع(٤٨) » .

- لم يكن **(دوفرين)** الشخصية الوحيدة المهتمة التي ناقشها (هيوم) في مسألة تكوين منظمة للهنود. فقد ذهب الى انجلترا وناقش خططه وماينتج عنها بالنسبة للتاج البريطاني مع أشخاص آخرين من أمثال لورد ريبون وجون برايت ولورد دلهوزي(٤٩) وآخرين. وقد أقنع (هيوم) هؤلاء جميعا باخلاص أهدافه وغاياته. وكان (هيوم) يؤمن بأن النكبة يمكن تلافيها اذا حولت الطبقة البرجوازية في الهند الى طبقة موالية. وقد جاهد (هيوم) طويلا لتحقيق هذا الهدف.

- كذلك أسس (هيوم) في انجلترا (وكالة الأنباء الهندية السياسية) وكان الغرض منها تزويد الصحف الانجليزية بالأخبار الهندية(٥٠).

- بعد أن قام (هيوم) بكل تلك الترتيبات عاد الى الهند قبل انعقاد المؤتمر الأول. لكن ماذا حدث قبل إنعقاد المؤتمر الأول؟ هذا ماتقصه علينا بالتفصيل دكتورة **(آني بيسانت)**. تقول آني :

«في أواخر شهر ديسمبر ١٨٨٤ إجتمع سبعة عشر رجلا في مدراس في منزل (ديفان بهادر راو). وكان هناك أيضا رجال آخرون كأصدقاء

ومتعاطفين. هؤلاء الرجال كانوا من زعماء المجتمع إجتماعيا وثقافيا...»(٥١) وفيما بعد في مارس سنة ١٨٨٥ قرر (هيوم) بمعونة هذه المجموعة من الرجال عقد اجتماع لممثلين من جميع أنحاء الهند. واختيرت (بونا) لتكون مركز اللقاء(٥٢).

- وفي أعقاب هذا الاجتماع **(اجتماع مدراس)** صدر منشور في مارس سنة ١٨٨٥ يقول(٥٣):

«إن مؤتمر الاتحاد الهندي الوطني سوف يعقد في **(بونا)** في المدة ما بين ٢٥ الى ٣١ من ديسمبر١٨٨٥م. وسوف يتكون المؤتمر من مندوبين هم أبرز الساسة ممن يجيدون اللغة الانجليزية، وذلك من جميع أنحاء البنغال وبومباي ومدراس. أما الأهداف المباشرة للمؤتمر فسوف تكون:

١ – تمكين الراغبين في العمل من أجل التقدم الوطني من التعرف بعضهم على بعض.

٢ – مناقشة وتحديد العمليات والاجراءات السياسية قبل القيام بها.

- وسوف يكون هذا المؤتمر – بشكل غير مباشر – البداية لبرلمان أهلي واذا ما سار في عمله بشكل سليم فانه سيسهم في سنوات قليلة في أن يكون ردا على ما يقال من أن الهند لا تزال غير قادرة على أي شكل من أشكال المؤسسات التمثيلية. وسوف يقرر المؤتمر الأول عما اذا كان المؤتمر التالي سوف يعقد في **(بونا)** أم يعقد في كل عام في مراكز مهمة مختلفة..»(٥٤).

وهكذا بدأ المؤتمر دون هدف محدد أوبرنامج. ولم يقدر لدورة المؤتمر أن

تعقد في (**بونا**) نظرا لظهور بعض حالات الكوليرا ،ورئى نقل المؤتمر الى بومباي. وفي بومباي سمي المؤتمر باسم «الكونجرس»(٥٥).

- بدأت الدورة الأولى للكونجرس في ٢٨ ديسمبر ١٨٨٥. وكان عدد الحاضرين سبعين شخصاً (٥٦) من بينهم اثنان فقط من المسلمين من بومباي(٥٧).

- كان أول رئيس للكونجرس «المؤتمر الهندي الوطني» (س. بونرجي) وكان الذي اقترح اسمه للرئاسة مستر (هيوم) وأيده في ذلك آخرون(٥٨). وقد حدد (س. بونرجي) في خطبته الرئاسية أهداف الكونجرس في أمور أربعة هي كالتالي(٥٩):

١ – توطيد وتقوية روابط الصداقة بين العاملين باخلاص في سبيل وطننا، في هذه الأجزاء من (**الامبراطورية البريطانية**).

٢ – محو وازالة كل التحيزات الجنسية والعقائدية والاقليمية – وذلك عن طريق الاتصالات المباشرة الشخصية – من بين كل محبي البلاد، وتقوية وتدعيم مشاعر الوحدة الوطنية التي غرست ونمت منذ أيام حكم لورد (ريبون).

٣ – تسجيل الآراء الناضجة للطبقات المثقفة في الهند حول بعض المسائل الاجتماعية الملحة.

٤ – تقرير وتحديد الوسائل التي يتم بواسطتها.. العمل من أجل المصلحة العامة على أيدي السياسيين الهنود.

كذلك امتدح رئيس الكونجرس في خطبته إنجلترا (**لبركاتها التي لا تقدر في نشر التعليم الغربي**)... وقال : «كل مانرغب فيه هو أن تتسع

أسس الحكومة وأن يشارك الناس فيها...(٦٠)» كذلك أعلن رئيس الكونجرس عن اعتقاده بأن الكونجرس يكون نافعا لكل من السلطات والشعب(٦١).

- إن دراسة تحليلية للخطب التي ألقاها أعضاء الكونجرس الآخرون تظهر بوضوح أن موقفهم تجاه الحكومة البريطانية يماثل موقف (س. بونرجي). ويقترب الباحث (سميث) من الحقيقة عندما يكتب عن الأيام الأولى للكونجرس:

«لا يجب على الانسان أن يعتقد أن الكونجرس أصبحت له في الحال الصبغة القومية التي لحقت به فيما بعد أو أنه كان يمثل شعورا عميقا بعدم الولاء... على أن الكونجرس - مهما كان من أمر - كان خطوة نقد تقوم به (أكثر أنواع المعارضة في الولاء)...»(٦٢).

المرحلة الثالثة :

- تتمثل هذه المرحلة في موقف سيد أحمد خان من الكونجرس.
- لقد كان تأسيس الكونجرس - كما رأينا - على يد **(الان اكتافيون هيوم)** في عام ١٨٨٥م. وبدأت دورته الأولى في بومباي. وحضر هذه الدورة سبعون عضوا من بينهم إثنان من المسلمين. إلا أن ذلك لم يكن حقيقة يعني مشاركة المسلمين - كأمة - في الكونجرس. لقد ظل المسلمون بعيدين عن الكونجرس أو المشاركة فيه وذلك عند النظر اليهم كأمة وليس النظر اليهم كأفراد. لقد نظر المسلمون الى الكونجرس باعتباره هيئة هندوسية. ولم تكن هذه هي وجهة نظر المسلمين وحدهم. فهناك - حتى من الانجليز - من كانت له نفس وجهة النظر مثل **(A.J. Tallboys)**(٦٣). وحتى لورد **(إروين)** الذي كان نائب الملك في الهند

(١٩٢٦ – ١٩٣١م) إعتبر الكونجرس في سنواته الأولى كهيئة هندوسية(٦٤).

- على أن أكبر معارضة وجهت ضد الكونجرس كانت من قبل سيد أحمد خان(٦٥) الذي كان قد عاصر مآسي الثورة ورأى إضطهاد المسلمين على أيدي السلطات البريطانية. ولم يكن سيد خان يحب أن تتكرر القصة. إن سيد خان لم يعارض الكونجرس لأنه كان تنظيما هندوسيا، ولكن سيد خان عارض الكونجرس لأن الكونجرس كان في حقيقته ضد مصالح المسلمين في شبه القارة الهندية. ويعلق (**سميث**) على هذه الحقيقة قائلا:

«لقد عارض سيد خان الكونجرس ونصح المسلمين بالابتعاد عنه، ليس لأن الكونجرس كان هندوسيا محضا، ولكن لأنه كان في حد ذاته عملا غير جدير بالاحترام. وكان من الممكن لسيد أحمد خان أن ينصح الهندوس أيضا بالابتعاد عن الكونجرس – لو كان له عليهم حق النصح أو لو كان يعتقد أن نصيحته سوف تقبل. ولقد ابتعد سيد خان – من قبل وبالفعل – عن حركة اسلامية مشابهة لنفس الأسباب(٦٦).

- وقبل أن نستطرد يجب أن نذكر هنا أن أهم القرارات التي اتخذها الكونجرس. تتلخص فيما يلي :

١ – تطوير مجالس الحكم الذاتي سواء في السلطة المركزية أو في الحكومات الاقليمية.
٢ – تخفيض النفقات العسكرية وكذلك التقليل من التدريب العسكري بالنسبة للهنود.
٣ – توسيع نطاق التوظف بالنسبة للهنود في المناصب العليا.

وعندما كان الكونجرس يقوم بتوجيه النقد الى الحكومة فقد كان في نفس الوقت يظهر نزعة الولاء الكبير والاعتدال. ولقد كانت مطالب الكونجرس حقيقية ومخلصة. ولكن لو كان قد تم الأخذ بها لأفاد ذلك طائفة واحدة فقط من طوائف الهند.. طائفة الهندوس. وقد كان سيد أحمد خان ضد هذا الاتجاه، وحاول جاهدا أن يمنع ذلك. ولما كان الكونجرس هيئة هندوسية أو ذا أغلبية هندوسية فقد ترتب على الفروقات الدينية اضطرابات طائفية بالبلاد. ففي عام ١٨٧١ /١٨٧٢م حدث صدام بين مناسبتين احداهما هندوسية والأخرى اسلامية، ونتج عن ذلك اضطرابات سقط فيها كثير من الضحايا في (بريلوي) ومناطق أخرى في منطقة (الأقاليم المتحدة)(٦٧) وفي عـــام ١٨٨٥ /١٨٨٧م حدث صدام آخر خطير في كل من البنجاب والأقاليم المتحدة نتج عنه اضطرابات دلهي الكبرى في عام ١٨٨٦ (٦٨). هذه الاضطرابات خلقت جو التوتر وجلبت معها الأخطار مما اضطر الزعماء المسلمين، من أمثال سيد أحمد خان وسيد أمير علي ومحسن الملك ومولفي نظير أحمد الى التدخل لحماية مصالح طائفتهم الاسلامية.

ورغم كل تلك الاضطرابات والمآسي فان سيد أحمد خان ظل صامتا حتى عام ١٨٨٧. وفي خلال العامين (١٨٨٥ – ١٨٨٧م) لم يتلفظ سيد أحمد خان بكلمة واحدة ضد الكونجرس أو ضد الهندوس. ولكن جدت ظروف وأحداث أجبرت سيد أحمد خان على اتخاذ خطوة حاسمة تجاه حركة الكونجرس. فقد قامت **(عصبة البنغال الوطنية) في (كلكتا)** والتي كانت على اتصال وثيق بالكونجرس بالمطالبة بالحقوق والامتيازات التي وافقت الحكومة البريطانية على منحها من وقت الى آخر. ونشرت العصبة كتيبا اسمه (نجم العرب) وعلى غلافه بعض الأشعار التي كانت تهدف الى إثارة مشاعر الهنود(٦٩). ثم بعد ذلك نشروا كتيبا آخر كان عبارة عن مجموعة من الأسئلة والاجابات أو مناظرة بين شخصين وهميين

أحدهما هو مولفي (**فريد الدين**) والآخر هو (رام بخش)(٧٠) وقد طبع مايقرب من خمسة آلاف من هذه الكتيبات في إثنى عشرة لغة هندية ووزعت(٧١). وكان الهدف هو نشر الكراهية ضد الحكومة البريطانية. وقد ذكر لورد (دوفرين) نائب الملك في الهند آنذاك أن زعماء الكونجرس مسئولون تماما عن نشر هذه الكتيبات التي قادت آلاف الناس الى التفكير الخاطىء(٧٢). وعبر لورد (**دوفرين**) عن نفس وجهة نظره هذه في وقت رحيله من الهند عندما كان يخطب في صحفي كلكتا(٧٣).

- هذه النشاطات الهندوسية بشكل عام ومطالب الكونجرس بشكل خاص كانت كافية لدفع سيد أحمد خان نحو العمل. وقد عبر سَيد خان عن وجهات نظره علنا للمرة الأولى سنة ١٨٨٧م وذلك بمدينة (لكنو) (بينما كان الكونجرس يعقد جلساته في مدراس تحت رئاسة أحد المسلمين). وقد حضر جمع كبير من المسلمين الاجتماع الذي تحدث فيه سيد خان في (لكنو) ومن هؤلاء الذين كانوا قد جاءوا لحضور جلسات المؤتمر المحمدي التعليمي(٧٤). وكان الاجتماع بذلك يمثل المسلمين على كل المستويات. وقوبلت خطبة سيد خان التي ألقاها بالأردية بالاستحسان من الجميع. وكانت أول خطبة سياسية لسيد خان. وكان هدف سيد خان من وراء هذه الخطبة تحقيق أمرين:–

١ – التعبير عن وجهة نظره الشخصية بالنسبة للأحوال السياسية السائدة.
٢ – تقرير ما يجب على المسلمين إتخاذه بخصوص هذه الأحوال.

- إن المحك الوحيد للحكم على الأمور السائدة هم المسلمون. فاذا كانت هذه الأمور ذات فائدة لهم فلابد لهم أن يشاركوا فيها. أما اذا كانت في غير صالحهم فلا مناص من الابتعاد عنها(٧٥). وأول مشكلة كان على سيد خان أن يوجه إنتباهه إليها ويعالجها هي مشكلة التعيينات في مجلس

نائب الملك. وقد قام سيد أحمد خان بالدفاع عن سياسة التعيينات هذه وامتدحها ثم لاحظ بعد ذلك كما يقول:

«أنه من سوء الحظ – واستمحيكم العذر في قولي هذا – أن طبقة ملاك الأرض في الهند ليس لديها القدرة الناتجة عن التدريب والممارسة التي تجعلها صالحة لشغل هذه المقاعد.. ولكن لا يجب أن نتجاهل تلك الظروف التي تجبر الحكومة على تبني هذه السياسة. ومن الضروري للغاية أن يكون أعضاء مجلس نائب الملك من ذوي الوضع الاجتماعي العالي. وأنا أسألكم هذا السؤال. هل ترضى أرستقراطية مجتمعنا في الهند أن رجلا من طبقة أدنى أو من أصل غير مهم – رغم ما يحمله من مؤهلات علمية – يعلو فوقها وأن تكون له المسئولية والسلطة في وضع القوانين التي تؤثر على حياة الأرستقراطية وممتلكاتها؟ لا... لا يمكن أن تقبل الأرستقراطية ذلك. إن مقعدا في مجلس نائب الملك لهو منصب شرف وعزة. ولا يمكن لنائب الملك أن يتخذ – كزميل عمل له – إلا رجلا ذا تربية طيبة، يعامله كأخ ويدعوه الى مجالس الطعام لتناوله مع الدوقات وأصحاب الألقاب(٧٦)».

- وكما يرى سيد أحمد خان فإن اجراءات ومسار إتخاذ القوانين لا عيب فيها، وأن أعضاء المجلس التشريعي لنائب الملك يقعون تحت تأثير الآراء التي تظهر في الصحف وفي غيرها(٧٧).

- وبعد ذلك ناقش سيد خان مطالب الكونجرس بالنسبة للخدمة المدنية. وكان سيد خان يرى أنه لو تم الأخذ بهذه المطالب فان المستفيد الوحيد هي طبقة الهندوس وبالذات الهندوس البنغاليين الذين كانوا قد بدأوا حركة التعليم وجنوا ثمارها(٧٨). إن نظام الخدمة المدنية القائم على أساس إمتحانات المنافسة نظام سليم في بلد مثل إنجلترا حيث ينتمي الناس هناك الى جنس واحد وعقيدة واحدة ولون واحد. أما هؤلاء الذين يأتون

إلينا من انجلترا فهم (يأتون من بلد بعيد عنا فلا نعرف هل هم أبناء لوردات ودوقات أم أبناء حائكي أزياء ولذلك فاننا لا نستطيع أن نعرف أصل هؤلاء الذين يحكموننا. ولكن بالنسبة للهنود فالأمر مختلف. فان هؤلاء الذين ينحدرون من أصل كريم لا يمكن أن يعطوا قياد أمورهم وممتلكاتهم لآخرين من ذوي الطبقات الأدني والأصل المتواضع والذين يعرفونهم تماما.)(٧٩).

وبالنسبة لمطلب الكونجرس الثاني وهو مطلب المؤسسات النيابية للهند والذي كان سيد خان قد عبر عن وجهة نظره ازاءه في سنة ١٨٨٣م عندما كان يناقش اقتراح بقانون الحكم الذاتي للهند، فان سيد خان ذكر أنه رغم أنه ليبرالي النزعة وأنه يؤمن أن الحكم النيابي هو أفضل النعم التي يمكن للهند أن تحصل عليها من انجلترا إلا أنه يعتقد أيضا أن التمثيل النيابي في شكله الغربي البحت لا يمكن قبوله في الهند لأن الأقليات سوف تعاني من الأغلبية، خاصة المسلمون. وحول هذه النقطة يقول سيد خان:

«إن المطلب الثاني للكونجرس هو ضرورة اختيار الناس لبعض أعضاء مجلس نائب الملك. إنهم يريدون تقليد مجلس اللوردات البريطاني ومجلس العموم.. ودعنا الآن نتصور أن مجلس نائب الملك يصبح على هذه الصورة. ودعنا نفترض أولا أن لدينا نظاما للانتخاب العام الشامل للبالغين كما هو الحال في أمريكا ودعنا نفترض أن المسلمين سوف يصوتون للمرشح المسلم وأن الهندوس سوف يصوتون للمرشح الهندوسي... والآن دعنا نحصي كم مرشح للهندوسي وكم للمسلمين. من المؤكد أن الهندوس سوف يكونون أربعة أمثال المسلمين لأن نسبة الهندوس العددية – هي كذلك – بالنسبة للمسلمين. وعلى ذلك فاننا نستطيع القول بأن نسبة التصويت ستكون أربعة الى واحد لصالح الهندوس. كيف يتمكن المسلمون اذن من حماية مصالحهم...»(٨٠).

- وفي نهاية خطبته أكد سيد خان للمسلمين تعضيد الحكومة لهم على أن يظلوا موالين لها. لقد كان سيد خان يؤمن أن الولاء للعرش البريطاني وللتعليم البريطاني هو الوسيلة الوحيدة لانتشال المسلمين من وضعهم الهابط... ذلك الوضع الذي انحدروا اليه بعد حدوث الثورة(٨١).

- وألقى سيد خان خطبة أخرى ضد الكونجرس في مدينة (ميروت) في سنة ١٨٨٨م وفيها عبر مرة أخرى عن آراء مماثلة(٨٢). ولقد كان تأثير هذه الخطب على المسلمين في الهند بالغا وبعيد الأثر. فقد رحب المسلمون بآراء سيد خان وبقوا بشكل عام بعيدين عن حزب الكونجرس. وكما يقول (نعمان):

  «لم ينضم منذ ذلك الوقت أي مسلم مهم الى الكونجرس باستثناء واحد أو إثنين. وحتى هؤلاء الذين عارضوا سيد أحمد خان في أفكاره الدينية والتعليمية والاجتماعية، واختلفوا معه، أخذوا بأفكاره السياسية وظلوا بعيدين عن الكونجرس(٨٣)».

- وفي سنة ١٨٨٨ بدأت مناظرة علنية بين (بدر الدين طيب جي) ثالث رئيس للكونجرس والسيد أحمد خان. بدأ ذلك بأن كتب بدر الدين خطابا الى رئيس تحرير جريدة (بيونير Pioneer) في الثاني من أبريل سنة ١٨٨٨م. وفي هذا الخطاب طالب بدر الدين المسلمين بالانضمام الى الكونجرس بدون خوف وأكد لهم أنهم لو عارضوا أي إجراء في الكونجرس بشكل جماعي فان هذا الاجراء لن يتم(٨٤). ولم يضيع سيد خان وقتا في الرد عليه(٨٥) فشكره أولا على أنه استبعد المسائل الطائفية والاقليمية في خلال مناقشات الكونجرس في دورة انعقاده الثالثة. كذلك أعلن سيد خان اتفاقه مع بدر الدين على أن الكونجرس لا يمكن أن يوصف بالكونجرس (**الوطني**) **أو** (**القومي**) اذا ما اتخذ فيه قرار ضد الرأي العام للأعضاء من الهندوس أو المسلمين. على أن سيد خان اعترض على استعمال كلمة (نواب) بالنسبة للأعضاء لأن (النائب) يعني أنه

شخص منتخب من قبل هؤلاء الذين يمثلهم. وحيث أن النواب المسلمين لم ينتخبهم مسلمون فلا يمكن بذلك تسميتهم نوابا. كذلك اعترض سيد خان على تسمية الكونجرس بالحزب القومي أو الوطني(٨٦) ان الكونجرس لا يمكن أن يسمى قوميا أو وطنيا إلا في حالة واحدة وهي أن تكون أهداف وأغراض الناس الذي يتكون منهم واحدة ومتطابقة. وان بدر الدين نفسه يعترف بأن بعض أهداف وأغراض المسلمين تختلف عن أهداف وأغراض الهندوس بينما بعضها متفق. وهو يرغب في أن يركز الكونجرس اهتمامه على تلك الأغراض المتفق عليها ويترك تلك التي عليها خلاف واختلاف. ولكن كيف يمكن تسمية الكونجرس في هذه الحالة بالكونجرس القومي أو الوطني(٨٧). ويرى سيد خان أن بدر الدين لم يوص بأي علاج للمسائل التي يختلف عليها الهندوس والمسلمون في الكونجرس. فهل يجب على كل من المسلمين والهندوس أن يكون لكل منهم «كونجرس» خاص من أجل أهدافهم الخاصة التي يختلف كل من المسلمين والهندوس عليها؟(٨٨) ثم ناقش سيد أحمد خان بعد ذلك المبدأ الذي يقول به الكونجرس (أي أمر يعارضه غالبية النواب المسلمين يجب أن يستبعد من المناقشة في الكونجرس). وعبر سيد خان عن حيرته حول هذا الأمر. فماذا تبقى للكونجرس لكي يناقشه اذا ماأخذ بهذا المبدأ(٨٩)؟ ذلك أن الهندوس والمسلمين يمكن أن يتفقا بالنسبة للمشاكل الاجتماعية ولأن الكونجرس هيئة سياسية ولا يناقش المشاكل الاجتماعية فلا مجال هناك اذن لأي تقارب. وقد آمن سيد أحمد خان بأن المباديء السياسية الأساسية للكونجرس الهندي هي في الواقع ضد مصالح المسلمين(٩٠). وفي هذا النطاق أشار سيد خان الى خطبته في (لكنو) وكرر حججه ضد المؤسسات النيابية. واختتم سيد خان خطابه ورده على بدر الدين بنصيحة للمسلمين بأنه بجانب كل تلك الأمور فليس من الحكمة عليهم أن ينضموا الى الكونجرس لأن ذلك سوف يؤدي الى معاداة الحكومة لهم. ثم إستشهد سيد خان بتجربة

الثورة التي اشترك فيها المسلمون والهندوس بنفس النسبة تقريبا ومع ذلك فقد نجى الهندوس من نتائجها بينما تحطم كيان المسلمين(٩١). «هذه هي النتيجة التي سوف تحل بالمسلمين اذا ما اشتركوا في الجو السياسي السائد والمشحون بالتوتر. وفي أمريكا بدأ هذا التوتر السياسي أولا ثم بدأت عقول الناس تشتد في احتدامها. ثم جاءت الكلمات الأخيرة (لا ضرائب دون تمثيل). دع هؤلاء الذين يمتلكون القوة في القول والفعل على أساس هذه الكلمات أن ينضموا الى الكونجرس. اننا لا نمتلك مثل هذه القوة. فالبنغاليون والمسلمون المجهولون الذين انضموا الى الكونجرس في مدراس ربما كانوا يمتلكون مثل هذه القوة. والأمر بالنسبة لهم يكون نعمة، ولكن اشتراك الأمة الاسلامية في الكونجرس سيكون بالنسبة لنا نقمة»(٩٢).

وفي ديسمبر سنة ١٨٨٨ أسس سيد أحمد خان «المنظمة الهندية الوطنية المتحدة» وذلك للوقوف ضد ما يسمى بالكونجرس الوطني(٩٣). وكانت أهداف وأغراض هذه المنظمة كالتالي :-

١ – اصدار مطبوعات وكتيبات للشعب والصحافة وأعضاء البرلمان الانجليزي توضح لهم خطأ ما يدعيه مؤيدو الكونجرس من أن كل الأمة الهندية وحكامها تعضد الكونجرس أو أنهم يتفقون مع الكونجرس في الأهداف والأغراض.

٢ – إعلام أعضاء برلمان انجلترا وصحفها وشعبها بنفس الوسائل برأي المسلمين بشكل عام وبالجمعيات الاسلامية وكذلك الهندوسية التي تعارض أهداف وأغراض الكونجرس.

٣ – العمل على حفظ السلام في الهند وتقوية الحكم البريطاني وإزالة المشاعر السيئة التي سببها مؤيدو الكونجرس وأشاعوها في البلاد – من قلوب الشعب الهندي، ضد الحكومة البريطانية(٩٤).

وقد تحول المؤتمر التعليمي الاسلامي السنوي الذي تأسس في عام

١٨٨٦م والذي كان في بدايته منظمة علمية بحتة تهدف الى نشر التعليم بين المسلمين، إلى منظمة سياسية وأصبح بذلك «تجمعا للرأي السياسي الاسلامي المتناثر»، كذلك قويت نشاطات سيد أحمد خان المناهضة للكونجرس وذلك عندما تأسست «منظمة الدفاع المحمدي للهند العليا في سنة ١٨٩٣م(٩٥). وكانت أهداف هذه المنظمة تتمثل في العمل لخير وصالح المسلمين وتمثيل حقوقهم لدى الحكومة والعمل على منع التوتر والسخط السياسي على ألا يعارض مثل هذا التوتر والسخط الشعبي اذا ما وجه نحو المطالب الهندية(٩٦).

- وكتب سيد أحمد خان مقاله في مجلة (**بيونير Pioneer**) التي كانت تصدر في (الله أباد) في سنة ١٨٩٣م. وفي هذه المقالة أوضح سيد خان آراءه في المشاكل الاجتماعية والسياسية السائدة بالهند وقام مرة أخرى بتفنيد وجهة نظر الكونجرس الهندي بالنسبة لموضوع المؤسسات النيابية والشكل الديمقراطي للحكومة. وكان سيد خان يؤمن بأن من أهم ما يلزم أي حكومة نيابية أو تمثيلية أن تكون أعلا درجة من التجانس بين الناخبين. ومثل هؤلاء لابد أن ينتموا الى نفس الجنس ونفس الأمة.. وعندما يكون هناك مثل هذا التجانس فان الحكومة التمثيلية في امكانها أن تعمل. وفي الهند، حيث يختلف الأمر، فان مثل هذه الحكومة التمثيلية لا يمكن لها أن تقوم بأي عمل له نتائج مفيدة في الهند يمكن فقط أن يتأتى من مثل هذه الحكومة إضطراب سلام ورفاهية البلاد(٩٧) ان أهداف وأغراض الكونجرس تقوم على أساس الجهل بالتاريخ كما يقول سيد خان. «إن الهند تقطنها جنسيات مختلفة. إن الكونجرس يفترض أن المسلمين يتشابهون مع الطوائف الهندية المختلفة وأن الجميع ينتمون الى نفس الأمة. إن الكونجرس يعتقد أنهم يؤمنون بنفس العقيدة ويتكلمون بنفس اللغة وأن موقفهم من التاريخ مماثل (لموقف الهندوس والطوائف الأخرى) وأنه يقوم على نفس الأسس التاريخية من أجل المعنى الناجح

لحكومة ديمقراطية. ومن المهم للغاية أن تكون لدى الأغلبية القدرة على حكم الأقليات غير الراغبة فضلا عن حكم نفسها(٩٨).

- **وقد مات سيد أحمد خان في عام ١٨٩٨م ولكنه كان قد نجح في إشعال مشاعر المسلمين في أنهم أمة. لقد بث سيد أحمد خان في مسلمي شبه القارة الهندية روح التعاون الذاتي والعمل الذاتي وعلمهم كيف يفكرون وكيف يعملون كأمة – وليس كأقلية.**

• المصادر والمراجع •

(1) Ram Gopal, Indian Muslims, Bombay, 1959. P. 47.
ويقتبس المؤلف خطابا كتبه لورد Ellinborough الى دوق ولنجتون بتاريخ ١٨ يونية عام ١٨٤٣. «لا أستطيع أن أغلق عيني عن الاعتقاد بأن هذا الجنس (أي المسلمين) معاد لنا بشكل أساسي وأن سياستنا السليمة هي في مصالحة الهندوس».
(2) Mehta, Asoka, Khial (Mazazine) Pub, May, 1957, Lahore, P.81.
(3) المصدر السابق
(4) Altaf Hussain Hali, Hayat-i Jawed, Delhi, 1939, P. 139.
(5) Mehta, Asoka. op. cit., P. 81.
(6) Philips, C. H. India, Great Britain. 1958, P. 90.
(7) Mehta, Asoka, op. cit., P. 82.
(8) Ram. Gopal, Indian Muslims, P. 48.
(9) Hunter, W. W. The Indian Mussalmans, Calcutta, 1945, P. 167
(10) المصدر السابق
(11) Mehta, Asoka. op. cit, P. 82.
(12) المصدر السابق
(13) Chirol, Valentine, Indian Unrest, London, 1910, P. 124.
(14) المصدر السابق ص ١٢١
(15) Hali, op. cit, 129.
(16) المصدر السابق ص ١٣٩
(17) المصدر السابق ص ١٤٥
(18) المصدر السابق ص ١٥٣

(19) Nehru, Jawaharlal, The Discovery of India. Calcutta, 1946 P. 407.

يعترف نهرو في كتابه بهذه الحقيقة التى يؤكدها سيد أحمد خان.

(20) Cummings, John, Ed. Political India, London, 1932. P. 87-

(21) المصدر السابق

(22) Noman, M., Muslim India, Allahabad, 1942, P. 43.

(23) J. Kennedy, Personel Reminiscense of Sir Syed Ahmad Khan. Imperial and Asiatic Quarterly Review, July - October, 1898, P. 150.

في هذه المقالة ذكر كنيدي أن سيد أحمد خان أخذ منذ ذلك الوقت يسخر من الهندوسية.

(24) Smith. W. C. Modern Islam In India, Lahore, 1947, P. 9

(25) Hali, op. cit., P. 218.

(26) مجلة عليجرة. عليجرة. ١٩٥٤ – ١٩٥٥م، ص ٣١.

(27) المصدر السابق ص ١٣

(28) المصدر السابق

(29) Smith, W. C. op. cit, p. 21.

(30) المصدر السابق

(31) Cumming, John. op. Cit., P. 89.

(32) مجلة عليجرة. مقالة شرواني من ٢٣٤ إلى ٢٣٦.

(33) A History of Freedom Movement, Pakistan Historical Society, Karachi, 1961, P. 517.

(34) Graham, G. F. I., Life and Work of Sir Sayyid Ahmad Khan., India, 1909, PP. 60 - 61.

(35) المصدر السابق ص ١٧١

(36) المصدر السابق ص ٢٠٢

(37) المصدر السابق ص ٢٠٢

(38) Al-Biruni, A. H., Makers of Pakistan, Lahore, 1950. PP. 43 - 44.

(39) Griffiths, Sir Percival, The British Impact on India, London, 1952, P. 278.

(40) Aligarh Institute Gazette, P. 33.

(41) Andrews, C. F. Mukerjee, Rise and Growth of the Congress in India, London, 1938, P. 115.

(42) المصدر السابق ص ١١٦

(43) المصدر السابق ١١٦

(44) Nandlal Chatterji, Indian Historical Quarterly. Dec. 1959, P. 367.

(45) Sitaramayya, B. Pattabhi. The History of the Indian National Congress, Bombay, 1949. P. 8.

(46) المصدر السابق

(47) Singh. N.G, Land - Marks In Indian Constitutional and National Development, Delhi, 1952, P. 73.

(48) Natesan. Publishers, Introduction to Indian Politics, 1898, PP.3-4.

(49) Wedder, Burn. William, Life of Allan Octavian Hume, London, 1913, P.55.

(50) المصدر السابق

(51) Besant, Annie, How India Wrought for Freedom, Madras, 1925, PP.1-2.

(52) المصدر السابق ص ٣

(53) المصدر السابق

(54) Besant, Annie, op. cit. P. 4.

(55) المصدر السابق ص ٧

(56) المصدر السابق ص ٧

(57) Coupland, Reginald. India A Re - Statement, London, 1932, P. 90.

(58) Besant, Annie, op. cit., P. 6.

(59) المصدر السابق ص ٧

(60) المصدر السابق ص ٩

(61) المصدر السابق

(62) Smith, W. C. Modern Islam In India, Second Edition 1947. P.16

(63) Imperial and Asiatic Quarterly Review, October, 1890.

(64) Cummings, Sir John, Political India, P. 18.

(65) Proceedings of the Indian Civil Service Commission, report, 1887, P- 132.

(66) Smith, W. C. Modern Islam in India, P. 116.

(67) Cumming. op. cit., P. 110.

(68) المصدر السابق ص ١١٠

(69) Altaf Haussain Hali, op. cit, PP.311 - 312.

(70) المصدر السابق ص ٣١٢

(71) المصدر السابق

(72) المصدر السابق

(73) Mukerjee, Hirendernath, India Struggles for Freedom, Bombay, 1946, P. 65.

(74) Sir Sayyid Ahmad Khan, Present State of Indian Politics, (Historical Research Institute, Panjab Univ., File, Lahore) p. 4.

(75) المصدر السابق

(76) المصدر السابق ص ٥

(77) المصدر السابق ص ٦

(78) المصدر السابق ص ٨

(79) المصدر السابق

(80) المصدر السابق ص ١٠

(81) المصدر السابق ص ١٤

(82) Lal Bahadur, The Muslim League, Agra, 1954, P. 3.

(83) Noman, op. cit., P. 40.

(84) File of Historical Research Institute (see F. N. No. 74 hene), PP. 34 - 35.
(انظر الهامش رقم ٧٤ هنا)

(85) المصدر السابق ص ٣٦

(86) المصدر السابق ص ٣٧

(87) المصدر السابق

(88) المصدر السابق

(89) المصدر السابق ص ٣٨

(90) المصدر السابق ص ٣٨

(91) المصدر السابق ص ٣٨ – ٣٩.

(92) المصدر السابق ص ٣٩

(93) Graham, Life and Work of Sir Sayyid..., P. 273.

(94) Lal Bahadur, op. cit, p. 5.

(95) المصدر السابق ص ٦

(96) The Pakistan Times (Newspaper), Pakistan Day Supplement, Dated: March 23, 1961, P. XV.

(79) المصدر السابق

(98) المصدر السابق